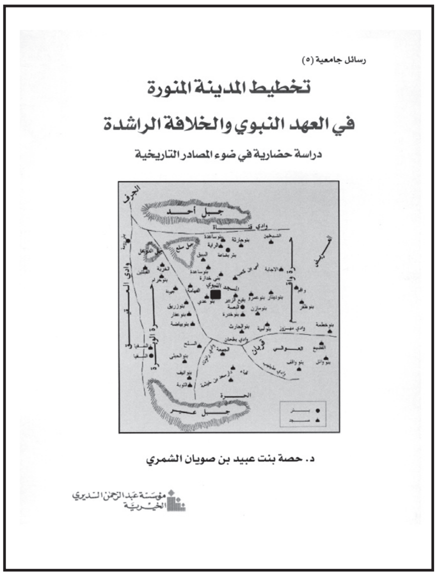
عرض الكتب



اسم الكتاب: تخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي والخلافة الراشدة: دراسة حضارية في ضوء المصادر التاريخية.

المؤلف: د. حصة عبيد الشمري.

الناشر: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

سنة النشر: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

رقم الإيداع: ٢٦٥٦/ ١٤٢٧.

مقاس الكتاب: ٢٥×١٧,٥سم.

عدد الصفحات: ٣٤٣ صفحة.

عرض: د. فرج الله أحمد يوسف.

يمثل الكتاب الإصدار الخامس ضمن سلسلة «رسائل جامعية»، التي تصدرها مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية بالمملكة العربية السعودية. وأصل الكتاب أطروحة تقدمت بها الباحثة إلى قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب – جامعة الملك سعود، وحصلت بها على درجة الدكتوراة سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

يتناول الكتاب تخطيط المدينة المنورة خلال العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين، في ضوء ما جاء في المصادر التاريخية، وأثر تخطيط المدن العربية القديمة على تخطيط المدينة المنورة، ومن ثم مدى تأثر المدن الإسلامية المبكرة بتخطيط المدينة المنورة. وتبرز أهمية الدراسة في إيضاح التغيير، الذي أحدثه الرسول، صلى الله عليه وسلم، على تخطيط المدينة المنورة بعد هجرته إليها؛ والطرق المتّبعة في تنظيم الأحياء التي سكنها المهاجرون والأنصار؛ والتعرف على المرافق العمرانية بالمدينة؛ وأبرز ملامح حجرات زوجات النبي، صلى الله عليه وسلم، وعلاقاتها بالمسجد النبوي الشريف.

يتكون الكتاب من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول، وثبت بالمصطلحات، والخاتمة، والنتائج، والمصادر والمراجع، وملخص البحث، والملاحق.

ناقشت الباحثة في مقدمة الكتاب موضوع الدراسة وأهميتها، والأهداف التي تسعى لتحقيقها، وحدود الدراسة من حيث الزمان والمكان، كما تناولت المقدمة الدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتها.

وجاء التمهيد تحت عنوان: (تخطيط يثرب قبل الهجرة)، وتحدثت فيه الباحثة عن موقع المدينة المنورة، وتاريخ تأسيسها، وسبب التأسيس. ويؤخذ على الباحثة أنها اعتمدت روايات الإخباريين العرب دون أن تقوم بتحقيق تلك الروايات؛ ولذلك فقد نقلت الروايات الخاصة بالعماليق وملوك بابل، أحفاد نوح عليه السلام (نمرود بن كوش بن كنعان بن نوح)، وكان عليها أن ترجع إلى المصادر الأثرية، وبخاصة النقوش، لتوضح لنا متى ذكرت يثرب في تلك النقوش؟ وما دامت قد تطرقت إلى مملكة بابل؛ فإن النقوش البابلية، والنقوش العربية الشمالية تمدنا بالعديد من المعلومات عن المدينة المنورة (يثرب)، في عصور ما قبل الإسلام. فقد جاء في أحد النقوش البابلية أن الملك نابونيد (٥٥٥ – ٥٣٩ ق.م)، اتخذ من تيماء عاصمة له، وأقام بها خلال السنوات العشر الأخيرة من حكمه، وأنه قد ضم إلى مملكته عدة مدن في وسط الجزيرة العربية وشماليها، وكانت يثرب (المدينة المنورة) من بين تلك المدن. وكان على

الباحثة أيضًا أن تقوم بدراسة تاريخ المدينة المنورة خلال عهدي: مملكة ديدان ولحيان (٥٤٠ – ٢٥٠ ق.م)، ومملكة الأنباط (١٦٩ق.م – ١٠٦م)، للإفادة من آثار تلك الممالك، والتي تعد أكثر دقة من روايات الإخباريين العرب، التي أسهبت الباحثة في نقل تفاصيلها، دون أن تقدم جديدًا فيما يتعلق بتاريخ يثرب وسبب تسميتها.

ويبدو أن الباحثة قد نهلت كثيرًا من تلك الروايات، حتى أنها بعد أن فرغت من كتب التاريخ لجأت إلى غيرها مثل: كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ونقلت عنه رواية تتحدث عن هلاك العماليق في يثرب على يد اليهود، وبدء سكناهم فيها. وفات على الباحثة أن الديانة اليهودية انتشرت في أنحاء من الجزيرة العربية، واعتنقها بعض العرب، فإذا كان اليهود المقيمين في يثرب وغيرها من مدن شمال غربي الجزيرة العربية يهودًا هاربين من الرومان، وبقايا جند موسى عليه السلام، فماذا عن اليهود في جنوبي الجزيرة العربية؟جاء الفصل الأول تحت عنوان: (تخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي)، تناولت الباحثة فيه مباحث عدة، منها :أسماء المدنية المنورة، وبناء المسجد النبوي وتخطيطه ووظيفته، والحجرات الشريفة وعلاقتها بالمسجد، ثم انتقلت بعد ذلك إلى خطط الأنصار والمهاجرين. وإذا كانت الباحثة قد اعتمدت في بحثها على المصادر التاريخية، فكان يجدر بها أن تقارن ما جاء في تلك المصادر بما كشفت عنه الدراسات الأثرية – على ندرته – ويحمد لها أنها قد استعانت بأهم تلك الدراسات (الآثار الإسلامية لكريزول؛ والمدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري لصالح لمعي مصطفى). ولكنها كما سبقت الإشارة لم تقم بعقد مقارنات بين روايات المصادر التاريخية وبين ما كشفت عنه الدراسات الأثرية، واكتفت بإيراد نتائج الدراسات.

ومن المراجع التي استفادت منها في الفصل الأول، تحديدًا، دراسة عبدالله عبدالعزيز إدريس: (مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم)، وهي دراسة علمية رائدة اعتمدت في تناول مجتمع المدينة في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، على المصادر التاريخية والجغرافية، وكتب: الفقه، والحديث، والتفسير، والتراجم، والطبقات؛ واستفادت الباحثة من هذه الدراسة عند تناولها خطط الأنصار قبل الهجرة وبعدها، وخطط المهاجرين. وقد قسّم عبدالله إدريس خطط الأنصار إلى «دور»: (دار بني عبد الأشهل، دار بني معاوية بن مالك، دار بني واقف والسلم، دار بني عمرو بن عوف، دار بني جحجبا بن كلفة، دار بني الحارث، دار بني ساعدة بن كعب، دار بني سلمة) (إدريس ١٩٨٢: ١٥٢–١٥٣)، فإن الباحثة قسمتها إلى «خطط» بالمسميات السابقة نفسها وترتيبها. وقد رجعت الباحثة إلى المصادر ذاتها التي استقى منها عبدالله إدريس معلوماته عن خطط المهاجرين والأنصار (إدريس ١٩٨٢: ١٥٢–١٨٨)؛ لكنها أضافت إليها بعض المصادر. وكانت الباحثة قد أشارت إلى دراسة عبدالله إدريس عند حديثها عن الدراسات السابقة، وأوضحت استفادتها منها، فيما يتعلق بخطط الأنصار والمهاجرين.

وفيما يخص خطط المهاجرين، نقلت الباحثة عن المصادر التاريخية أن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، أقام في منزل خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي الأنصاري، وأنه تزوج ابنته، وهو المنزل الذي توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه فيه، أي أنه أقام عند أخيه الأنصاري نحو عشر سنوات، وهذه الرواية تحتاج إلى وقفة لأن الكثير من المهاجرين جاءوا إلى المدينة المنورة بعد أن تركوا أموالهم في مكة المكرمة وعانوا من شظف العيش، وساعدهم الأنصار بكل ما يملكون، لكن هذا الحال لم يستمر طوال هذه المدة؛ لذا فإن هذه الرواية في حاجة إلى وقفة. أما الفصل الثاني فعنوانه: (المدينة المنورة في عهد الخلفاء الراشدين)، ويلاحظ أن الباحثة في هذا الفصل قد توسّعت في الاعتماد على الدراسات الأثرية، ولم تقف عند المصادر التاريخية فقط، بل رجعت إلى العديد من الآثاريين الذين أجروا دراسات على آثار المدينة المنورة مثل : حسن الباشا، وسعاد ماهر، وصالح لمعي، وفريد شافعي، ومحمد الشهري. لكن الباحثة اكتفت أيضًا بإيراد نتائج تلك الدراسات، ولم تقارن بينها وبين ما جاء في المصادر التاريخية؛ ولم توضح لنا رأيها عند اختلاف أولئك الدارسين مع بعضهم بعضاً، فقد توقفت عند حد ذكر الخلاف بين فريد شافعي وصالح

لمعي بخصوص إضافة بعض الأروقة على جانبي المسجد النبوي في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولم تدل برأيها في الموضوع، وكان عليها أن تقوم بذلك استنادًا على المصادر التاريخية والدراسات الأثرية.وجاء الفصل الثالث تحت عنوان: (مرافق المدينة المنورة)، وقسمته إلى عدة أقسام: الأول: المرافق العمرانية (المنازل، ومساجد الخطط، وسوق المدينة المنورة، والطرقات والأزقة).أما القسم الثاني فكان عن : المرافق العامة: (البقيع، ومصلى العيد، ومنازل الضيافة، والبيمارستان، وسقيفة بني ساعدة، ومصلى الجنائز، والبطيحاء، والتحصينات الدفاعية والحربية).وفي هذا الفصل، استعانت الباحثة بالقليل من الدراسات الأثرية، وسارت على نهجها السابق نفسه، فتركت إجراء المقارنات بين المصادر التاريخية والدراسات الأثرية. ويلاحظ أنها ذكرت المستشفيات تحت عنوان : (البيمارستان)، وذكرت أن نظام البيمارستان قد نشأ في الدولة الإسلامية سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م، في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان؛ ولما كانت الفترة الزمنية للدراسة لا تتجاوز عهد الخلفاء الراشدين، فقد كان على الباحثة أن تجد عنوانًا آخر غير (البيمارستان) عند حديثها عن نظام التداوي والاستشفاء في العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين.وعند حديثها عن أساليب التعامل في سوق المدينة المنورة، أشارت الباحثة إلى تداول المسكوكات البيزنطية والساسانية والحميرية في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وأوضحت الباحثة ذلك بقولها: (وفي هذا الصدد نرجو أن لا يفهم أن العرب لم يتداولوا في الجاهلية نقودًا عربية. فقد أثبتت الحفريات الأثرية وجود نقود عربية حميرية مضروبة ومنقوشة، وكان تداول هذه النقود العربية في نطاق ضيق جدًا، وبشكل محدود أيضًا، كما يذكر أن العرب تداولوا فيما بينهم نقودًا عربية أخرى من ممالك أطراف الجزيرة العربية مثل الأنباط والتدمريين)، ويؤكد ذلك مدى إطلاع الباحثة على تاريخ العرب وحضارتهم قبل الإسلام، في حين نرى الكثير من المتخصصين في الآثار الإسلامية يغفلون دور الحضارة العربية قبل الإسلام في نشأة الحضارة الإسلامية. لكن المسكوكات العربية قبل الإسلام لم يتم تداولها في نطاق ضيق ولا بشكل محدود، فقد كانت مملكة قتبان أول مملكة عربية تقوم بضرب المسكوكات منذ أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، ثم ضربت مملكة سبأ المسكوكات، وتعود أقدم مسكوكاتها إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، ثم سارت بقية الممالك العربية على خطى مملكتي قتبان وسبأ في ضرب المسكوكات، ومن الممالك التي ضربت المسكوكات في جنوبي الجزيرة العربية: مملكة حضرموت، ومملكة حمير، ومملكة كندة الأولى؛ وفي شمالي الجزيرة العربية، ضربت المسكوكات ممالك: الأنباط، والحضر، والرها، وتدمر؛ وفي الأجزاء الشمالية من شرقي الجزيرة العربية، ضربت مملكة ميسان المسكوكات، وفي الأجزاء الجنوبية التي لم تقم فيها مملكة جامعة، فقد ضربت المسكوكات في أهم مدنها مثل: (عُمانا) الدور، وثاج، البحرين، والجرهاء.وظلت مملكة حمير تضرب المسكوكات حتى سقوطها على أيدي الأحباش سنة ٥٢٥م؛ لذا يجب تصحيح الآراء، التي تحاول حصر معرفة العرب للمسكوكات بتداولهم للمسكوكات البيزنطية والساسانية قبيل الإسلام (يوسف ٢٠٠٥: ٦٣٠-٦٨٠).أما الفصل الرابع، فقد خصصته الباحثة لأثر تخطيط المدن القديمة على مخطط المدينة المنورة. ويحمد للباحثة أنها قد نوهت بأن العمارة الإسلامية قد استقت أصولها من العمارة العربية، التي خلفتها الممالك العربية قبل الإسلام، في شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها. وأشارت الباحثة إلى نماذج من العمارة العربية في جنوبي الجزيرة العربية (قصر غمدان / مدينة مأرب)، وفي شماليها (الحيرة والحضر). ويؤخذ على الباحثة اختصار هذا الفصل بشكل واضح، فقد توقفت عند وصف السمؤال بن عاديا لقصره فقط، وكان يجب عليها أن تذكر القصر والمدينة، التي شيد فيها (وأعني مدينة تيماء) والقصر هو الأبلق. وقد سبقت الإشارة إلى تيماء عندما اتخذها الملك البابلي نابونيد عاصمة له، وشيّد حولها سورًا ضمت العديد من القصور منها: قصر الحمراء والرضم. كما كان على الباحثة أن تقارن بين تخطيط المدينة وعمارته، كما ورد في المصادر التاريخية، وبين ما كشفت عنه الدراسات الأثرية في مدن شمالي الجزيرة العربية خاصة، مثل: تيماء، ودادان «العلا»، والحجر «مدائن صالح»، ودومة الجندل «أدوماتو» والبدع (الأنصاري ٢٠٠١:

٣٠-٣٣؛ الأنصاري ٢٠٠٢: ٤٣-٥٢).ولا شك أن الباحثة قد بذلت جهدًا كبيرًا في تأصيل عناصر العمارة الإسلامية وإرجاعها إلى أصولها في العمارة العربية قبل الإسلام، مستفيدة من نتائج الحفريات التي أجرها عبدالرحمن الطيبب الأنصاري في «قرية» الفاو. (الأنصاري ١٩٨٢: ١٨-٢٣).وختمت الباحثة هذا الفصل بنتيجة مهمة، لعلها تكون نبراسًا لدارسي العمارة الإسلامية، ويتجلى ذلك في قولها: (وبذلك يثبت، بصورة لا جدال فيها، أن العرب كانوا على علم بأصول فن البناء والعمارة وتخطيط المدن، في الفترة السابقة للإسلام، على الرغم من أن أغلب المستشرقين والعلماء أرجعوا عناصر العمارة الإسلامية إلى أصول فارسية وهلنستية وبيزنطية وقوطية؛ بل إن بعضهم تمادى في وصف العرب بالجهل التام بالعمارة والفنون، وأن أمانياتهم المعمارية لا تكفي إلا لتلبية حاجاتهم بطريقة ساذجة، وكانت الخيمة المصنوعة من الوبر هي أجمل عمارتهم. كما وصفوهم بأنهم يعانون من عقدة الرعب المتأصل الموروث من الأماكن المغلقة، وأنهم لو اعتمدوا على أنفسهم لما استطاعوا تجديد المبنى الصغير للكعبة، أو حتى بناء مسجدهم البدائي).وأخيرًا ناقشت الباحثة في الفصل الخامس أثر تخطيط المدينة المنورة على المدن الإسلامية المبكرة، وخاصة البصرة (١٤هـأ/ ٦٣٥م)، والكوفة (١٧هـ/ ٦٣٨م)، والفسطاط (٢١هـ/ ٦٤٢م)، والقيروان (٥٠هـ/ ٦٧٠م)، و واسط (٧٥هـ/ ٦٩٤م). (شافعي ١٩٧٠: ٦٤٧-٦٤٩؛ مصطفى ١٩٨١: ٥٧-٦٦؛ الراشد ١٩٨٩: ١٤٥-١٩٩).ويلاحظ أن الباحثة قد ابتعدت في هذا الفصل عن المصادر التاريخية، واعتمدت على كتب الخطط، والدراسات والبحوث الأثرية؛ فجاء هذا الفصل بحق مسك الختام لهذه الدراسة القيّمة وتجلى ذلك أيضًا في المقارنة التي عقدتها بين المدينة المنورة وغيرها من المدن الإسلامية المبكرة، وهو الشيء الذي عانت من نقصه الفصول الأولى للكتاب.

وتأتي الملاحق، والصور، والخرائط في نهاية الكتاب، وهي:

(ثبت المصطلحات الواردة في الدراسة): ويضم كل المصطلحات المعمارية والفنية التي وردت في الدراسات وشرحها، وهي مرتبة أبجديًا. و(الخاتمة والنتائج): وتوصلت الباحثة في ختام دراستها إلى العديد من النتائج منها:

١- اتضح أن فترة تخطيط المدينة المنورة في العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين في حاجة لمزيد من الدراسات، التي تتجاوز النظرة العامة الوصفية، ولتحقيق ذلك لا بد من دراسة ما ورد في المصادر التاريخية وتحليله.

٢- حددت الدراسة المكونات المعمارية للمدينة المنورة.

٣- أكدت الدراسة أن عمارة المدينة المنورة استندت في انطلاقتها على تراث معماري، ورثته عن الممالك العربية قبل الإسلام، وأوضحت أثر المدن العربية القديمة على تخطيط المدينة المنورة.

٤- أوضحت الدراسة أن تخطيط المسجد النبوي في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان اللبنة الأولى في تخطيط المساجد الإسلامية.

٥- أظهرت الدراسة الاختلاف بين تخطيط المدينة المنورة قبل الهجرة وبعدها.

٦- خلصت الدراسة إلى أن تخطيط المدينة المنورة في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يتم وفقًا لخطة معمارية معلومة تأثرت بتعاليم الدين الإسلامي.

ملخص البحث

كان على الباحثة، عند إعداد دراستها للطباعة الاستغناء عن هذا المخلص خاصة وأنه يحتوي على معلومات مكررة فهو يتحدث عن تقسم الكتاب إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصول الكتاب وما تحتويه وهو أمر سبق ذكره في المقدمة تحت عنوان: (مسار الدراسة، ص٢٣-٢٤)، كما كررت الباحثة في الملخص عرض الصعوبات التي واجهتها أثناء دراستها وهو ما سبق أن ذكرته في المقدمة تحت عنوان (صعوبات الدراسة ص٢١-٢٣).

ويضم الكتاب ٣٧ شكلاً تحتوي على صور، ومخططات، وخرائط، وصممت الباحثة ستة أشكال ومخططات من

خلال الروايات التاريخية:

١- رسم تقريبي لموقع الحجرات الشريفة وعلاقتها بالمسجد النبوي. (الشكل ١٤، ص ٣٢٢).

٢- رسم تقريبي لخطط الأنصار خلال عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم. (الشكل ١٦، ص ٣٢٤).

٣- رسم تقريبي لخطط المهاجرين، خلال عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم (الشكل ١٩، ص ٣٢٧).

٤- رسم تقريبي يوضح أهم منازل المهاجرين والأنصار والمرافق العامة والحجرات النبوية الملاصقة للمسجد النبوي خلال عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.(الشكل ٢٢، ص ٣٣٠).

٥- مساجد خطط المدينة في عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم. (الشكل ٢٣، ص ٣٣١).

٦- رسم تقريبي للمنطقة المركزية في المدينة المنورة «المسجد النبوي، وسوق المناخة، ومقبرة البقيع» (الشكل ٢٨، ص ٣٣٥).وأخيرًا، فإننا أمام دراسة معمارية، تناولت تخطيط المدينة المنورة وأثرها على المدن الإسلامية المبكرة؛ توصلت إلى نتائج جديدة، كانت ثمرة لصبر الباحثة ومثابرتها، خاصة أنها اعتمدت على المعلومات المتناثرة في متون المصادر التاريخية، وجمعت شملها وأصلحت شعثها، ولا شك أنها جابهت صعوبات كثيرة في جمع المادة العلمية وتصنيفها وتحليلها والاستفادة منها، كل ذلك في ظل عدم وجود آثار باقية من عمارة المدينة المنورة تعود إلى فترة العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين، كما أن المصادر التاريخية لم تقدم صورة متكاملة عن التخطيط العمراني للمدينة المنورة. وبذلك فقد انتج صبر الباحثة ودأبها دراسة جديدة في مجال العمارة الإسلامية، التي تحتاج إلى باحثين يسيرون على نهجها، خاصة في تأصيل عناصر العمارة الإسلامية إلى عمارة الممالك العربية قبل الإسلام، وليس إلى العمارة الساسانية أو البيزنطية فقط، كما درج على ذلك أغلب دارسي العمارة الإسلامية.

المراجع

إدريس، عبدالله عبدالعزيز ١٩٨٢، **مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ**، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ١٩٨٢، **«قرية» الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية**، جامعة الرياض.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب ٢٠٠١، «**نحو تأصيل التراث الحضاري للجزيرة العربية**»، أدوماتو، العدد الثالث.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب؛ وحسين علي أبوالحسن ٢٠٠٢، تيماء ملتقى الحضارات، دار القوافل، الرياض.

الراشد، سعد عبدالعزيز ١٩٨٩، الآثار الإسلامية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية**، الكتاب الثالث، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود.

شافعي، فريد ١٩٧٠، **العمارة العربية في مصر، عصر الولاة**، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

مصطفى، صالح لمعي ١٩٨١، **المدينة، تطورها العمراني وتراثها المعماري**، دار النهضة العربية، بيروت.

يوسف، فرج الله أحمد ٢٠٠٥، المسكوكات، **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**، المجلد الأول، الجذور والبدايات، الفصل الرابع «المظاهر الحضارية للعرب قبل الإسلام»، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.